

الفصل الثاني

ميلاد الحزب النازي

- ١ -

في يوم أحد من أيام الخريف المكفهرة. وبالضبط في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨ عانى أدولف هتلر ما دفعته أعمق مشاعر خيبته وحقدته، الى تسميته بأكبر دناة إقتُرفت في هذا القرن^(١). فقد قدم قسّ يحمل الأنبياء التي يصعب تصديقها للجنود الجرحى الراقيدين في مستشفى پاسفالك Pasewalk العسكري. وهي مدينة (پوميرانية) صغيرة تقع شمال شرق برلين حيث كان هتلر يُعالج من عمى وقتي أصيب به في هجوم بريطاني بالغازات السامة قبل شهر بالقرب من (إيبر Ypres)، أبلغهم هذا القس في صبيحة يوم الأحد ذاك، أن القيصر تنازل عن العرش وفرّ الى هولندا. وأن الجمهورية أعلنت في برلين قبل فراره بيوم واحد. وأن الهدنة وُقعت في ١١ تشرين الثاني في غابة كومبين Compiègne بفرنسا. وبهذا خسرت ألمانيا الحرب ووقعت تحت رحمة الحلفاء الظافرين. قال القس هذا وأنشأ يبكي. وصوّر هتلر المشهد نفسه بقوله: "لم أعد أحتمل أكثر من هذا وإسود كل شيء أمام عيني مرة أخرى، ورحت أتعثر في سيرتي وأنا أتلمس سبيلي الى الردهة وقذفت بنفسي الى الفراش ودفنت رأسي المشتعل في طيات المطرح واللحاف... إذن فقد ضاع كل شيء. عبث في عبث كل هذه التضحيات والحرمات. عبث كل الساعات التي قضيناها متمسكين بقلوبنا في خوف يميت ونحن نُؤدي واجبنا. عبث موت مليونين من الرجال... لاقوا حتفهم لأجل هذه النهاية؟ حدث هذا كله لتستولي عصاية من المجرمين السفلة على أرض الجدود^(٢)."

قال إنه طفق يبكي بأعصاب منهارة لأول مرة بعد وقوفه على قبر أمه. "لم أستطع السيطرة على نفسي" ولم يستطع إقتبال الحقيقة الصارخة القاصمة كغيره من ملايين الألمان لا في تلك الساعة ولا بعدها... أبدأ، حقيقة أن ألمانيا هُزمت في المعركة وخسرت الحرب. كان هتلر مثل ملايين الرجال الآخرين أيضاً، جندياً بأسلاً مقداماً. لقد إتهمه خصومه السياسيون فيما بعد بالجبن في سوح القتال. ولكن الإنصاف يقتضي منا القول أنه لا يوجد في كنيسته أقل دليل يثبت التهمة. فقد سبق الى الجبهة بوظيفة جندي مخابرة وساعياً بين الخطوط منسوباً الى السرية الأولى من اللواء السادس عشر للمشاة الإحتياط البافاري. وذلك في نهاية تشرين الأول ١٩١٤، بعد أن أكمل ثلاثة أشهر في مستودع تدريب، وأبيدت وحدته أو كادت بعد قتال مرير دام أربعة أيام في معركة (إيبر) الأولى حيث قام

١- هذه الكلمة وردت في أول طبعة ألمانية ل(كفاحي) على أنها إستبدلت بـ(الثورة) في جميع الطبعات التالية.

٢- كفاحي، ص ٢٠٤-٢٠٥.

الإنجليز بصد إندفاع الألمان نحو القتال. وجاء في رسالة كتبها هتلر لزميل السكن الخياط (بوب): أن اللواء الذي كان يبلغ تعداده قبل المعركة (٣٥٠٠) أصبح ستمائة فقط ليس فيه غير ثلاثين ضابطاً وشُطبت من ملاكه أربعة أفواج.

وجرح أثناء الحرب مرتين: الأولى في ٧ تشرين الأول سنة ١٩١٦ إبان معارك السوم Somme إذ أصيب بساقه. وبعد علاجه في ألمانيا أعيد الى لواء "ليست List" الذي سُمي بإسم قائده الأصلي- في أواخر العام ١٩٧١ ورُفِع الى نائب عريف، وشارك في معركة أراس Arras وفي معركة (إيبر) الثالثة أثناء ذلك الصيف وكان لواءه في قلب المعركة أثناء الهجوم الألماني الكاسح خارج الخنادق في ربيع وصيف العام ١٩١٨. وفي ليلة ١٣ تشرين كان أحد ضحايا غارة إنجليزية عنيفة بالغاز السام، على تل يقع الى الجنوب من فيرثيك Werwick فيما يدعى بمعركة (إيبر) الأخيرة، "فإنكفأت على عقبي وعيناي تلتهبان ناراً وأنا أحمل آخر تقرير حربي عن الموقف. وأصبحت عيناي جمرتين متقدتين بعد بضع ساعات واطلم العالم من حولي"^(٣).

ومُنح وسام الشجاعة مرتين. ففي كانون الأول ١٩١٤ قُلد وسام الصليب الحديدي من الدرجة الثانية. وفي آب ١٩١٨ قُلد وسام الصليب الحديدي من الدرجة الأولى. وهو لا يُمنح الى جندي عادي في الجيش الإمبراطوري القديم إلا في القليل النادر. لقد شهد أحد زملائه في الوحدة أنه فاز بهذا الوسام الذي يصبو إليه الكل لأنه أسر خمسة عشر جندياً إنكليزياً بمفرده، وزعم آخر أن الأسرى فرنسيون أما الوقائع الرسمية للواء "ليست" فلا تتضمن كلمة واحدة عن هذه المأثرة. وهي تسكت عن الشجاعة الفردية لعدة أبطال قُلدوا أو سمة. ومهما كان السبب فالثابت أن نائب العريف هتلر فاز بوسام الصليب الحديدي من الدرجة الأولى وظلّ يتقلده بإعتزاز وفخر حتى آخر حياته.

ومع ذلك كله كان في مفهوم المسلك العسكري السائد بين الجنود شخصاً غريب الأطوار كما لاحظ أكثر من واحد من زملائه. فلم تكن تصله رسائل من الأهل أو طرود كما تصل الآخرين ولم يطلب إجازة واحدة وكان عزوفاً عن النساء خلافاً لعادة الجنود في سوح القتال ولم يكن يتشكى أو يتذمر كما يفعل أشجع الناس - من القذارة والحشرات والوحول والجيفة في خطوط القتال. كان مقاتلاً خالياً من المشاعر كثير الجد حول أهداف الحرب ومصير ألمانيا المقدّر. وذكر أحد أفراد سرّيته فيما بعد: "كنا نلعه جميعاً ونجده لا يُطاق. هذا الغراب الأبيض بيننا، لايسايرنا وينضم إلينا عندما نلن الحرب ونهتف^(٤) بسقوطها. ووصفه آخر: وهو جالس في ركن الى مائدة الطعام واضعاً رأسه بين يديه مستغرقاً في تأمل عميق. وعلى حين غرة يستوي قائماً ويسير بهياج وسرعة ويقول بالرغم من مدفعيتنا الضخمة فالنصر سيكون بعيد المنال لأن خصوم الشعب الألماني المستورين هم أعظم مدفعية لدى العدو"^(٥).

٣- المرجع السالف، ص ٢٠٢.

٤- هايدن "الزعيم" ص ٨٤.

٥- رودولف أولدن "هتلر البيدق" ص ٧٠.

ثم يروح يشن هجوماً على أولئك الخصوم المستورين... اليهود والماركسيين. ألم يتعلم في فيينا
أنهما مصدر الشر كله؟

ثم ألم يرَ ذلك كله بأَم عينه على أرض ألمانيا نفسها عندما كان يقضي دور النقاهة من جرح ساقه
في منتصف الحرب؟ بعد خروجه من مستشفى بيليتز Beelitz قرب برلين. زار تلك العاصمة ثم غادرها
الى مونيخ وكان أينما حل يجد "أنذالاً يلعنون الحرب ويرغبون في إنتهائها بسرعة والإندحاريون
كثيرون يفوقون الحصر. من يكونون غير أولئك اليهود؟". ووجد الدوائر مكتظة باليهود، يكاد كل
الموظفين يكونون يهوداً، وكل يهودي موظفاً... في ١٩١٦-١٩١٧ كان "كل الإنتاج الإقتصادي تقريباً
تحت سيطرة رأس المال اليهودي... واليهود نهبوا الوطن كله واحتلوه واعتصروه إعتصاراً... لقد رأيت
دنو الكارثة بفزع شديد"^(٦). لم يطق هتلر تحمل ما رأى وسره أن يعود الى الجبهة على حد قوله. ولم
يتحمل أكثر منها تلك الكارثة التي حلت بأرض آبائه في تشرين الثاني ١٩١٨ فهي بالنسبة له
ولكل الألمان تقريباً "كارثة شنعاء" لا تستحقها ألمانيا. إن الجيش الألماني لم يقهر في ميادين القتال
وإنما طعنه الخونة في الداخل طعنة في الظهر.

وهكذا تكونَ لهتلر كما تكونَ لكثير من الألمان عقيدة ثابتة، نبعت من خرافة (طعنة في الظهر)
تلك العقيدة قوضت أركان جمهورية (فاير) بالدرجة الأولى ومهدت الطريق لفوز هتلر المحجّل. هذه
الخرافة لا تعدو كذبة مصنّعة. فالجنرال لودندورف Ludendorff القائد العام الفعلي لهيئة الأركان العليا
أصرّ في ٢٨ أيلول ١٩١٨ على عقد الهدنة حالاً وأيد رأيه رئيسه الرسمي فيلد مارشال فون
هندنبرگ. وفي إجتماع مجلس العرش الذي تم في برلين في الثاني من تشرين الأول برئاسة القيصر
فلهلم الثاني، كرر (هندنبرگ) طلب القيادة العليا عقد هدنة فورية وقال: "إن الجيش لا يستطيع أن
يصمد أكثر من ٤٨ ساعة" وذكر في رسالة كتبها في اليوم ذاته: إن الموقف العسكري يحتم "إيقاف
القتال". ولم يرد أي ذكر ل(طعنة الظهر) تلك. ولم يساهم بطل الحرب الألماني العظيم في ترويج هذه
الخرافة إلا فيما بعد. فقد صرّح في إفادة أداها أمام لجنة تحقيق في الجمعية الوطنية في ١٨ تشرين
الثاني ١٩١٩ بعد الحرب بسنة واحدة ما يلي: "... وكما قال جنرال إنكليزي بحق، إن الجيش الألماني
قد طُعن في الظهر"^(٧).

٦- كفاحي، ص ١٩٣.

٧- إن إسناد هذه الخرافة الى جنرال إنكليزي لا ظلّ له من الحقيقة. فقد بيّن هولبر بينيت في كتابه "هندنبرگ: الطيطان
الخشبي" أنه من مفارقات الصدفة وغرائبها أن يساهم جنرالان إنكليزيان عن غير قصد في طبع هذه الأسطورة
المخرّفة. وأول الجنرالين هو "ميجر جنرال سر فرديك موريس Fredrick Maurice" الذي أسيء تفسير كتابه "الأشهر
الأربعة الأخيرة" إساءة بالغة من قبل الصحفيين الناقدن الألمان. فقد زعموا إفتنائاً أنه برهن على "أن الجيش الألماني
قد هُزم في الجبهة لخيانة الإشتراكيين من الداخل" فأنكر الجنرال صحة هذه الترجمة في الصحف الألمانية. ولم يفد
عمله هذا فقد إستفاد لودندورف من التلفيقات الصحفية لإقناع هندنبرگ بتلك الخرافة. أما الضابط الثاني فهو
ميجر جنرال مالكولم Malcolm رئيس البعثة العسكرية في برلين. كان الجنرال لودندورف يتناول العشاء معه وطفق
بذلاقة لسانه المعهودة وطنتنته يظنّب في وصف إفتقار القيادة العليا الدائم الى الإسناد الحكومي وكيف إن الثورة
خانت الجيش وحاول الجنرال تلخيص شرح محدثه في جملة واحدة فسأله: أتعني أيها الجنرال أنكم طُعنتم في =

وحقيقة المسألة أن الحكومة المدنية التي كان يرأسها الأمير ماكس باذن Max of Baden لم تخبرها القيادة العليا بتردي الموقف الحربي حتى نهاية شهر أيلول، فبقيت عدة أسابيع تعارض طلب (لودندورف) بعقد الهدنة.



هندنبرگ

ومن عاش في ألمانيا فترة ما بين الحربين يدرك كم كانت هذه الخرافة منتشرة ومقبولة عند الشعب الألماني. في حين كنت تجد الحقائق التي تكشف زيفها كثيرة أينما توجهت. إلا أن اليمين الألماني لا يريد أن يواجهها بشجاعة وصراحة. ولم يكف عن الزعيق أن الأثمين هم (مجرمو نوفمبر) وهي العبارة التي ظل هتلر يدقها دقاً لا هوادة فيه في ضمير الشعب الألماني. وليس مهماً قط أن الجيش الألماني استطاع وبحيلته منه وجبن أن يقوم بمناورة قاد بها حكومة الجمهورية إلى توقيع إتفاقية الهدنة التي أصر عليها

قواد العسكر. وإن قيادة الجيش الألماني نفسها هي التي نصحت بقبول شروط معاهدة فرساي. كما لم يبدُ مهماً أيضاً أن الحزب الديمقراطي الاشتراكي إمتنع عن قبول مسؤولية الحكم في ١٩١٨. ولم يقبل إلا بعد تردد طويل والحشيته أن تقع البلاد في حالة من الفوضى الشاملة رأى الجيش أنها قد تؤدي بالوطن إلى البلشفية. وإن هذا الحزب لم يكن مسؤولاً عن إنهيار ألمانيا، واللوم كله يقع على عاتق النظام القيصري^(٨) الزائل الذي كان يقبض على زمام السلطة. لكن ملايين الألمان رفضوا أن يفهموا ذلك أو يقتنعوا به. وكان عليهم أن يجدوا كباش فداء يقدمونها أضحى للهزيمة ولشقائهم وذلتهم. وسهل عليهم أن يقنعوا أنفسهم بأنهم وجدوا تلك الكباش في (مجرمي نوفمبر) الذين وقّعوا وثيقة الإستسلام وأسسوا حكومة ديمقراطية لتخلف الأوتوقراطية الزائلة.

كانت هذه الخدعة للألمان وتراً طالما ضرب عليه هتلر في (كفاحي) وما عتم أن جنى منه أعظم الفوائد. "عندما غادر القس مستشفى (پاسفالك) مساء ذلك اليوم الموافق ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨

= الظهر؟ فبرقت عيننا لودندورف وإلتقطت الجملة كما ينط كلب إلى عظم وردد قوله: "طعنة في الظهر؟ أجل تلك هي بالضبط، لقد طعنا في الظهر".

٨- ندر أن وجد الجنرالات الشجاعة ليؤيدوا هذا الكلام. ففي ٢٣ آب ١٩٢٤ نشر الجنرال فرايهر فون شوينباخ Freiherr Von Schoenbach مقالاً في صحيفة (فرانكفورتر تزايتونگ) يحلل فيه أسباب هزيمة ألمانيا وتوصل إلى النتيجة "التي لا يمكن إغفالها أبداً. وهي [إن سبب خرابنا الأساسي هو طغيان سلطتنا العسكرية على السلطة المدنية... في الواقع أن العسكرية الألمانية إنتحرت بيدها لا غير] إقتبسها تلفورد تايلر Telford Taylor في كتابه "السيف والصليب المعقوف" ص١٦.

"جاءت أيام فظيعة ومررت بي ليالٍ أشد هولاً... لقد أدركت أن كل شيء ضاع. وأن الأغبياء والكذابين هم وحدهم يطلبون الرحمة من العدو. أخذ الحقد في تلکم الليالي يتنامى في نفسي، الحقد على أولئك المسؤولين عن هذا العمل... مجرمون متفسخون أنذال! كلما حاولت إستيضاح خفايا هذا الحدث الجلل في تلك الساعة كلما إزدادت حرقه جبيني بنار الحجل والسخط والعار. ما أهون آلام عيني إذا ما قورنت بهذا الشقاء" ثم "أصبح مصيري واضحاً أمامي فقررت إحتراف السياسة"^(٩). وقد تبين أنه قرار حاسم بالنسبة لهتلر والعالم.

- ٢ -

مبدء الحزب النازي

إن فرصاً لمستقبل سياسي في ألمانيا كانت أقل من المواثية بالنسبة لهذا النمساوي البالغ من العمر ٣٥ عاماً المعدوم الصديق والمال والعمل. العاطل عن أي مهنة أو حرفة أو خبرة سابقة في عمل منتظم أو تجربة في ميدان السياسة. وقد أدرك ذلك من البدء وكتب بعد فترة وجيزة: "بقيت أياماً أفكر فيما يمكن عمله. وكان تفكيري يصل بي دائماً الى الحقيقة الواقعة وهي أنني ذلك الحامل الإسم، ليس لدي ما أركز عليه للشروع بأي عمل نافع"^(١٠). وقفل راجعاً الى مونيخ في نهاية تشرين الثاني ١٩١٨ ليجد مسقط رأسه الجديد متغيراً تماماً. فقد إندلع لهيب الثورة هنا أيضاً وتنازل ملك أسرة "فيتلسباخ Wittelsbach" عن عرشه ووقعت مملكة بافاريا بأيدي الديمقراطيين الإشتراكيين الذين أقاموا "حكومة شعبية" برئاسة "كورت إيزنر Kurt Esner" وهو كاتب يهودي شهير ولد في برلين. ظهر (إيزنر) المعروف في مونيخ بلحيته البيضاء الفارحة وعيوناته ذات الحيط وقبعته السوداء الواسعة وجرمه الصغير يمشي في الشارع على رأس بضع مئات من الناس في ٧ تشرين الثاني. وإحتل مقر البرلمان والحكومة دون أن تطلق رصاصة واحدة وأعلن قيام الجمهورية. وبعد ثلاثة أشهر إغتاله كونت أنطون آركوفالي Anton Arco-Valley وهو ضابط يميني شاب. وعندها هب العمال وأقاموا جمهورية سوفيتية إلا أنها لم تعيش طويلاً. ففي الأول من أيار أرسلت برلين وحدات عسكرية نظامية إلتحق بها متطوعون بافارليون عرفوا باسم (المحاربون الأحرار Freikorps) ودخلوا مونيخ وأزالوا النظام الشيوعي بالقوة وذبحوا عدة مئات فيهم عدد من غير الشيوعيين إنتقاماً لقيام السوفييت البافاري بإعدام عشرة من الرهائن. ومع قيام حكومة ديمقراطية إشتراكية معتدلة برئاسة يوهانس هوفمان Johannes Hoffmann في ذلك الحين فإن السلطة الحقيقية إنتقلت الى اليمين.

ما هي حقيقة اليمين في بافاريا في تلك الفترة المضطربة؟ إنها الجيش النظامي، جيش الرايخ Reichsweher. إنها الملكيون الذين يرغبون في إعادة أسرة فيتلسباخ الى الحكم. إنها كتلة من

٩- المرجع السالف، ص ٢٠٥-٢٠٦.

١٠- المرجع السالف، ص ٢٠٧.

المحافظين الذين يكرهون حكومة الجمهورية في برلين، راحت تجمع إليها بمرور الزمن أشتاتاً عظيمة من الغوغاء والصعاليك من أولئك الجنود المسرحين الذين قذفت بهم من حالق دنيا حرب ١٩١٨. رجال أجتثوا من جذورهم الإجتماعية إجتثاثاً، لا يجيدون عملاً ولا يتبينون طريقهم الى مجتمع مستقر آمن كانوا قد تركوه عام ١٩١٤. رجال إخشوشنوا وقست قلوبهم مما ذاقوا في الحرب، لا يستطيعون أن ينزعوا ذاتهم من حكم العادة التي أشربتهم إياها الحرب. قال عنهم هتلر الذي كان واحداً منهم: "لم يصبحوا ثوريين إلا أنهم لا يريدون الثورة لذاتها. يرغبون في الثورة كحالة دائمة ثابتة".

وإنشقت وحدات (المحاربين الأحرار) في طول ألمانيا وعرضها تقدم قيادة الجيش الألماني بالسلح. وكانوا في مبدأ الأمر يُدفعون لقتال البولنديين ودول البلطيق على الحدود الشرقية المتنازع عليها. لكنهم سرعان ما راخوا يساندون المؤامرات التي بدأت تحاك للإطاحة بالنظام الجمهوري. وفي آذار من السنة ١٩٢٠ تمكنت إحدى هذه الوحدات، وهي لواء إيرهارد Ehrhardt السيء الصيت الذي يقوده هذا الكابيتن المغامر - من إحتلال برلين ومعاونة الدكتور ولفغانگ كاپ^(١١) Wolfgang Kapp وهو أحد الساسة الخاملين من أقصى اليمين على إعلان نفسه مستشاراً ووقف الجيش النظامي - وكان بقيادة الجنرال فون سيكت Von Seeckt الى جانب وقفة المتفرج بينما فرّ رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة وسط الفوضى الضاربة أطنابها - الى غرب ألمانيا. ولم يبق بإنقاذ الجمهورية وإعادة الحكومة إلا إعلان نقابات العمال إضرابها العام. وفي الوقت نفسه نجح نمط آخر من أنماط الانقلابات العسكرية. ففي ١٤ آذار ١٩٢٠ أسقط الجيش الألماني حكومة هوفمان "الديمقراطية الإشتراكية" وأقام نظاماً يمينياً برئاسة "گوستاف فون كاهر Gustav Von Kahr" وبذلك أصبحت العاصمة البافارية قبلة ومغناطيساً تجذب كل القوى الألمانية التي حلفت يميناً غموساً على إسقاط النظام الجمهوري وإقامة حكم مطلق وتعديل معاهدة فرساي التي أمليت شروطها قسراً (Diktat) ووجد فيها زعماء المحاربين الأحرار ومن بينهم لواء إيرهارد ملجأ ودار ضيافة. وفيها أيضاً إستقر رجال لواء إيرهارد من ضباط الجيش الناقمين^(١٢) المسرحين. وفيها راحت تحاك مؤامرات القتل السياسي. وكان بين من أغتيل ماتياس إيرزبيرگر Matthias Erzberger وهو من الساسة الكاثوليك المعتدلين وجد في نفسه الجرأة والشجاعة لوضع توقيععه على الهدنة عندما نكص الجنرالات على أعقابهم. وعقبه في المصير "قاتل راتناو Walter Rathenau" وهو وزير خارجية لامع جمّ الثقافة كان متطرفو اليمين يكرهونه لأنه يهودي، ولأنه كان يسير سياسة الحكومة الوطنية محاولاً الوفاء ببعض شروط معاهدة فرساي على الأقل.

١١- ولد كاپ في الرابع والعشرين من تموز ١٨٦٨ بمدينة نيويورك.

١٢- في نهاية الحرب فرّ الجنرال لودندورف الى السويد متنكراً بلحية وشارب مستعارين وعيونات زرقاء ثم عاد الى ألمانيا في شباط ١٩١٩. وكتب الى زوجته رسالة جاء فيها: "أعظم حماقة إرتكبها الثوريون هي الإبقاء علينا. وبقينا لو أني تسلمت زمام السلطة ثانية فلن يكون ثم عفو أو رحمة. عندئذ سأقوم بضمير مرتاح بشنق شايدمان Scheidemann وإيبرت Ebert وباقي أعضاء شركتهما. وسأظل أرقبهم وهم يتأرجحون في الهواء... (مارگريت لودندورف في: Alsich Ludendorff Frau War. ص٢٢٩). كان إيبرت أول رئيس لجمهورية فايمر وشايدمان أول مستشار لها. كان لودندورف دكتاتور ألمانيا الفعلي لسنتي الحرب الأخيرتين مع إنه يلي هندنبرگ في القيادة.

في هذا الحقل الخصب بدأ عمل هتلر.

عند رجوع هتلر الى مونيخ في نهاية تشرين الثاني ١٩١٨ وجد لواءه في أيدي "اللجان العسكرية" المؤلفة من الجنود فإشماز من ذلك حتى إنه قرر "أن يترك المدينة حالاً وبأسرع ما يمكن" على حد قوله. وقضى شتاءه قائماً بواجب حراسة معسكر أسرى الحرب تراونشتاين Traunstein قرب الحدود النمساوية ثم كرّ راجعاً الى مونيخ في الربيع. وذكر في كفاحي أنه إستهدف سخط حكومة اليسار، وزعم أنه لم ينبج من الإعتقال إلا بعمل جريء، وذلك بتسديد فوهة بندقيته الى ثلاثة من الأوغاد الذين جاؤوا للقبض عليه. وبعد إسقاط النظام الشيوعي بدأ هتلر ما وصفه "بأول نشاط سياسي ضيق النطاق... هذا النشاط المحدود هو عبارة عن تقديم معلومات الى لجان التحقيق التي شكّلت في لواء المشاة الثاني لإستجواب أولئك الذين ساهموا في إقامة النظام السوقياتي في مونيخ. ويظهر أن خدمات هتلر في هذه المناسبة أعتبرت قيمة. مما حدا بالجيش الى إستخدامه في أعمال أخرى. فأسند له مهمة في مكتب الصحافة والأنباء التابع للدائرة السياسية لأمرية الجيش المنطقيّة.

أصبح الجيش الألماني يتدخل في السياسة تدخلاً كبيراً وخاصة في بافاريا حيث تمكن من إقامة حكومة حسب ذوقه. ولتوسيع وجهات نظره اليمينية راح ينظم الجنود في حلقات دراسية تلقى فيها دروس سياسية. وكان "هتلر" أحد التلاميذ النابهين وذكر أنه قاطع مرة أحد المتكلمين لأنه ذكر اليهود بكلمة خبير. ويظهر أن ضباطه الأمرين سرّوا بخطبته تلك المعادية للسامية فما لبثوا أن عينوه ضابط تشريف Bildungsoffizier في حامية مونيخ تنحصر وظيفته الأساسية في مكافحة الآراء الهدامة والمباديء الإشتراكية والديمقراطية، والتهادن، تلك كانت مفاهيم الجيش لواجباته ودوره في جمهورية ديمقراطية أقسم على أن يخدمها.

كان المنصب الجديد فاتحة مهمة له، وأول تقدير لخدماته في الحقل السياسي الذي يحاول إقتحامه الآن. وأهم من كل ذلك أنه أتاح له الفرصة لوضع قابليته الخطابية في التجربة. والخطابة أولى مستلزمات السياسي الناجح في رأيه. ويقول في هذا: "فجأة سُمح لي بفرصة الكلام أمام محفل كبير وما كنت أفترضه دائماً من محض شعور فيّ دون أن أمحصه، تأكد لي الآن... إنني أستطيع الخطابة". هذا الكشف سرّه كثيراً وإن لم يكن مفاجأة كبيرة له. لقد كان يخشى أن يشوب صوته ضعف دائم من جراء إستنشاقه الغاز السام في الجبهة فوجده سالماً واضح النبرات مسموعاً "على الأقل في كل ركن من أركان قاعة الفصيل الصغيرة"^(١٣). وكانت فاتحة موهبة رفعته ببسر وسهولة الى مصاف أبرع الخطباء في ألمانيا وأشدهم سحراً وأذا يُسمع من الراديو فهو كفيل بهزّ الملايين هزاً.

في يوم من أيام أيلول ١٩١٩ أبلغته دائرة الإستخبارات السياسية في الجيش بإستطلاع أمر مجموعة سياسية صغيرة في مونيخ تطلق على نفسها إسم "حزب العمال الألمان". وكان الجيش كثير الشك في أحزاب العمال لأن معظمها يتراوح بين الإشتراكية والشيوعية. أما هذا الحزب بالذات فالمعتقد أنه يختلف عن الباقي. يقول هتلر أنه كان يجهل وجوده بالمرّة، إلا أنه كان على صلة برجل

سيقوم بالقاء خطاب في إجتماع لذلك الحزب ضُرب له موعدٌ.
قبل هذا ببضعة أسابيع كان قد أصغى الى محاضرة في إحدى ندوات الجيش الثقافية ألقاها
گوتفريد فيدر Godfried Feder وهو مهندس بناء ذو آراء إقتصادية غريبة إستولت عليه فكرة مؤداها أن
الرأسمال المضارب باعتباره منافساً لرأس المال "الخالق" أو المستثمر هو العلة لمعظم مصائب الدنيا
الإقتصادية، وكان يدعو الى إزالة الأخير منهما. وألف في ١٩١٧ جمعية ترمي الى تحقيق هذه الغاية
سماها العصبة الألمانية المناضلة لإلغاء رقب الفئاض.

ولجهل هتلر المطبق في أمور الإقتصاد، أثرت فيه خطبة (فيدر) تأثيراً بليغاً ووجد في دعوة
الخطيب الى القضاء على عبودية الفئاض واحدة "من الأركان الرئيسية لبناء حزب جديد"، وقال عنها:
"لقد شمتت فيها رائحة شعار قوي للكفاح المقبل"^(١٤).

على أنه لم يجد في حزب العمال الألمان ما يسترعي الإهتمام باديء ذي بدء. ولم يحضر إجتماعه
إلا أنه أمر بذلك وبعد أن ظل جالساً طوال جلسة مملّة لحوالي خمسة وعشرين شخصاً في غرفة مظلمة
في مشرب البيرة المسمى شتيرنكربراو Sterneckerbrau لم يجتذب إهتمامه شيء ووجدها "منظمة
جديدة مثل كثير غيرها. في زمن يقوم كل شخص غير راضٍ عن سير الأمور... بتأليف حزب جديد،
فتجد هذه المنظمات تنبع من الأرض في كل مكان لتتلاشى بصمتٍ وسكونٍ بعد فترة من الزمن. وحكم
على حزب العمال الألمان: أنه لا يختلف بشيء عن الأحزاب الأخرى"^(١٥).

وبعد أن فرغ (فيدر) من كلامه وهم هتلر بالإنصراف نهض (أستاذ) وراح يناقش في صحة آراء
الخطيب وإفتراضاته. ثم إقترح إنفصال بافاريا عن بروسيا وتأليف دولة ألمانيا الجنوبية من إتحاد
النمسا وبافاريا، وقد كان هذا الميل السائد في مونيخ يومذاك. وأغضب الإقتراح هتلر الى حد الهياج
العصبي فنهض ليتحف "السيد المتعالم" بشيء مما يجول في ذهنه على حد ما عبّر عنه فيما بعد.
وكان هذا "الشيء" قاسياً شديد الوقع ألجأ الأستاذ الى مغادرة الغرفة "كالجرو المبتل بالماء" بينما
أرسل المجتمعون أنظارهم الى المتعلم الشاب وعلى "وجوههم دهشة". وذكر هتلر أن واحداً فيهم نهض
وأسرع إليه ودس كتيباً في يده.

هذا الرجل هو أنطون دركسلر Anton Drexler ومهنته صنع الأقفال. ويمكن القول أنه المؤسس الفعلي
للقومية الإشتراكية، وهو رجل سقيم الصحة ذو نظارات يفتقر الى أوليات الثقافة والمعارف ذو عقلية
فردية ضيقة مشوشة. كاتب فح وخطيب أكثر فجاجةً. كان في ذلك الحين يزاول صنعته في معامل
سكة حديد (مونيخ). ألف في ٧ آذار ١٩١٨ ما سماه "لجنة العمال المستقلين" لمحاربة ماركسية
نقابات العمال الحرة ودعا الى سلم عادل لألمانيا. ولجنته في واقع الأمر فرع من حركة واسعة نشأت
في شمال ألمانيا وإتخذت عنوان "جمعية تحقيق السلم على مباديء الطبقة العاملة". (منذ تلك الفترة

١٤- المرجع السالف، الص ٢١٠-٢١٣.

١٥- المرجع السالف، الص ٢١٨-٢١٩.

حتى ١٩٣٣ كانت ألمانيا متخمة بالجمعيات السياسية الصحابة ذات العناوين البراقة الجذابة). ولم يستطع (دركسلر) أن يجمع حوله أكثر من أربعين عضواً. وفي كانون الثاني ١٩١٩ إندغمت في لجنة مشابهة كانت تعرف "بحلقة العمال السياسية" يتزعمها مراسل صحفي يدعى كارل هاربر Karl Harrer. وعُرفت المنظمة الجديدة التي كانت تضم أقل من مائة عضو (بحزب العمال الألماني). وكان (هاربر) أول رئيس لها. وهتلر الذي لم تكن من عاداته في (كفاحي) الحديث الكثير في رفاقه القدامى الذين ضاعت أسماؤهم في زوايا النسيان. لم يبخل على (هاربر) بالمديح. فنعتته "بالمخلص المثقف الواسع الثقافة". إلا أنه أبدى أسفه لإفتقاره الى موهبة الخطابة ولعل السبب الأعظم لزوال هاربر وأقول نجمه إصراره العنيد على رأيه في أن هتلر لا يصلح للخطابة. وهو حكم أثار ثائرة الزعيم وجعله يثابر بعزم متواصل كما أوضح ذلك في سيرة حياته. ومهما يكن من أمر فقد بدا أن (دركسلر) كان القوة المحركة الكبرى لهذا الحزب الصغير المجهول، حزب العمال الألماني.

بدأ هتلر في صبيحة اليوم التالي يتفقد محتوى الكتيب الذي دسه (دركسلر) في يده. وهو يصف المنظر وصفاً دقيقاً مسهباً في (كفاحي). كان الوقت الخامسة فجراً وهتلر متكيء على فراشه في ثكنات لواء المشاة الثاني يرقب فأرة تقضم كسراً من الخبز كان قد نثرها على الأرض ليلة أمس، قال: "لقد عرفت عن الفقر الكثير. وأصبحت أتصور تماماً وطأة الجوع، ومن ثم الفرح الذي يستولي على هذه المخلوقات الصغيرة" في تلك اللحظة تذكر الكتيب وراح يقرأ فيه وكان عنوانه "يقظتي السياسية" ووجد لدهشته أنه يعكس عدداً من الآراء التي تكونت في رأسه عبر السنين الماضية. لقد كان هدف (دركسلر) إقامة صرح حزب سياسي على قواعد جماهير الطبقة العاملة يختلف عن الحزب الاشتراكي في ميله القومي ميلاً شديداً. وكان (دركسلر) عضواً في "جبهة تربة الوطن" القومية لكنه إكتشف بسرعة عقلية الطبقة الوسطى التي تسيطر عليها ولم تكن على أية صلة بالجماهير. وقد رأينا كيف أن هتلر تعلم في قيينا إزدراء البرجوازية لهذا السبب عينه، أعني إفتقارها التام الى الإهتمام بأمور الطبقة العاملة ومشاكلهم الروحية والإجتماعية، ولهذا أثارت آراء (دركسلر) إهتمامه بنوع خاص.

وفي ساعة متأخرة من ذلك اليوم تلقى لدهشته بطاقة بريدية جاء فيها أنه قُبل عضواً في حزب العمال الألمان وتذكر فيما بعد أنه "ما كنت أدري هل أغضب أم أضحك إذ لم تكن عندي نية في الإضمام الى حزب كامل التشكيل. وإنما إنصرفت نيتي الى تأسيس حزب خاص؛ كان في طلبهم هذا جراً، وكان إنضوائي شيئاً مستحيلاً"^(١٦).

وهم بالإفصاح عن رأيه هذا في رد خطي إلا أن "حب الإستطلاع غلب عليه". فقرر أن يذهب الى

إجتماع اللجنة الذي دعي إليه، ليشرح شخصياً الأسباب التي تدفعه الى عدم الإنضمام "الى هذا الحزب الصغير". "كان الإجتماع في آلته روزنباد Alte Rosenbad وهو مشرب حفير في شارع هرّن Hrenstrasse... إجترت غرفة طعام معتممة خالية وفتحت الباب المفضي للغرفة الخلفية فوجدت نفسي أمام اللجنة. وفي ضوء متهافت ينشره مصباح نفطي كئيب وقع نظري على شبان أربعة قد تحلقوا مائدة. وتبينت منهم مؤلف الكتيب الذي نهض فوراً لتحيّتي مرحباً مستبشراً بوصفي عضواً في حزب العمال الألمان".

"والحق يقال أنني فوجئت وبوغتُ. وقُرئت وقائع الجلسة الأخيرة ومنح السكرتير الثقة بعد تصويت. ثم تلي التقرير المالي وتبين أن مالية الحزب لاتعدو (٧) ماركات وخمسين فينيك. وصوت على تقرير أمين الصندوق بالثقة ودون ذلك في المحضر ثم قرأ الرئيس الأول للحزب ردوداً على رسائله من (كيبيل) وأخرى من (دوسلدورف) وثالثة من (برلين) وأعلن الجميع موافقتهم. وبعدها تلي تقرير عن البريد الوارد... فظيع! فظيع! إنها أسوأ من حياة النوادي. هل قُدّر لي الإنضمام الى هذه الجمعية؟" (١٧)

مع هذا كله فقد إجتذبه شيء ما في أولئك الرجال ذوي الثياب الرثة المجتمعين في غرفة خلفية سيئة الإنارة. هو "شوق الى حركة جديدة تكون أكثر من حزب العمال بالمعنى المألوف للحزب". وعاد الى ثكنته مساء ذلك اليوم "ليواجه أشقّ سؤال في حياته: "هل أنضمّ؟" وأقرّ معترفاً أن عقله أشار عليه ألا يفعل... مع ذلك فإن خمول شأن المنظمة قد يمنح الشاب النشيط المملوء أفكاراً فرصته في (نشاط شخصي حقيقي). وذكر ما يمكنه أن يحقق في هذا المجال: "بدا لي أن فقري وقلة مواردتي هو أسهل الجوانب التي يمكن التغاضي عنها في هذا المجال. لكن الجانب الصعب هو الإسم. فأنا معدود بين أولئك الذين لا إسم لهم. أنا واحد من ملايين البشر الذي عاشوا بالصدف ويزولون من الوجود دون أن يدري أقرب جيرانهم بأمرهم أو يلاحظوا وجودهم من عدمه. زد على ذلك الصعوبة المتأتية من إفتقاري الى التحصيل العلمي.

وبعد يومين من عذاب التفكير والتأمل وصلت أخيراً الى وجوب إتخاذي هذه الخطوة. وكان أعظم قرار حاسم إتخذته في حياتي ولم يعد لي أي مجال للنكوص الى الوراء" (١٨). وهكذا إنضم أدولف هتلر الى لجنة حزب العمال الألمان عضواً سابقاً.

في هذا الحزب الخامل يوجد عضوان يستحقان الذكر، كلاهما ذو أثر مهم في إرتفاع نجم هتلر. أولهما الكابتن آرنست روهم Ernest Roehm وهو ضابط ركن في القيادة المنطقية السابعة في الجيش المعسكر في مونيخ، إنضم الى الحزب قبل هتلر. وكان متين البناء غليظاً خشناً ذا عينين ضيقتين في وجهه ندوب تشهد على أنه جندي محترف- أطارت رصاصة الجزء الأعلى من أنفه في ١٩١٤- مغرم بالسياسة ذو ملكة وقابلية في التنظيم. كان مثل هتلر قد حقد على الجمهورية الديمقراطية حقداً

١٧- المرجع السالف، الص ٢٢١-٢٢٢.

١٨- المرجع السالف، ص ٢٢٤.

مسعوراً وأبغض (مجرمي تشرين) وعدّهم مسؤولين عن إقامتها. وهو يؤمن ويعمل على إعادة خلق ألمانيا قومية قوية. ويرى كهتلر أن تحقيق هذا الهدف لا يمكن أن يقوم به حزب تستند قواعده على الطبقات السفلى التي إنحدر هو منها خلافاً لمعظم ضباط الجيش. رجل قاسٍ مندفع، منحرف جنسياً مثل كثير من النازيين الأولين. ساعد في تنظيم أولى فصائل الصدام النازية التي عرفت فيما بعد برمز (S.A) وهو جيش فرق الصاعقة الذي ظل يقوده حتى فتك به هتلر في ١٩٣٤. أدخل (روهم) الى هذا الحزب الناشيء عدداً كبيراً من المحاربين القداماء وأفراد "المحاربين الأحرار" الذين صاروا عمود الحركة الفقري في أولى أيامها. ولم يكتف بهذا فقد أمن الحماية لهتلر ولحركته لكونه أحد ضباط الجيش المسيطر على بافاريا. وأمن أحياناً المساعدة من السلطة، وبدون هذا العون كان يُستبعد أن ينجح هتلر في البدء بمعركة حقّة لتعبئة الجماهير، وإسقاط الجمهورية. ومن المؤكد أنه ما كان يستطيع النجاة بجلده لأساليبه الإرهابية وإشاعة الرعب- دون تسامح الحكومة البافارية وجهاز شرطتها.

وثاني الشخصين "ديتريش إيكارت Dietrich Eckart" وهو رجل يكبر هتلر بواحد وعشرين عاماً. وكثيراً ما لُقّب بـ"المؤسس الروحي" أو الزعيم النظري للقومية الاشتراكية. صحفي بارع النكتة، وشاعر دون الوسط وكاتب مسرحيات. كان قد ترجم مسرحية بير گنت Peer Gynt للمسرحي إيسن Ibsen وكتب عدداً من المسرحيات لم تُمثل. وعاش في برلين مثل عيشة هتلر في فيينا حياة تشرد وتعطل. وأدمن الخمر والمورفين. وذكر (هايدن) أنه أدخل مستشفى الأمراض العقلية، وفيه تسنى له إخراج مسرحياته موزعاً أدوارها على النزلاء المرضى.

وبنهاية الحرب عاد الى بافاريا موطنه. وكان يعقد ندوات تضم حلقات من المعجبين في مشرب خمر برنسل Bernssel الواقع في شقالبينگ Swalbing وهو منتج الفنانين في مونيخ، فيخطب في التفوق الآري ويدعو الى إستئصال شأفة اليهود وسقوط "الخنزير" في برلين. وذكر (هايدن) الذي كان يعمل في صحافة مونيخ عن (إيكارت) أنه كان يخطب بحماسة وإنفعال في مرتادي مشرب برنسل في ١٩١٩ قائلاً: "نحن بحاجة الى رجل في المقدمة. يستطيع أن يحمل المدفع الرشاش. إن الرعاع بحاجة الى خوف يدب في سراويلهم. نحن لانستطيع إستخدام ضابط فالناس ما عادوا يحترمون هؤلاء. والخير كل الخير في عامل متمكن من ناصية الكلام... إنه لا يحتاج الى عقل كثير... كما يجب أن يكون أعزب. وإذ ذاك ستفوز بالمرأة!"^(١٩) أي مادة أولية "كان هذا الشاعر السكير يجد خيراً من شخصية هتلر (٢٠):

إنه الشخص الذي يبحث عنه بالضبط. وبهذا أصبح إيكارت الناصح الأمين للشباب البازغ في سماء حزب العمال الألمان فأعاره كتباً وعاونه في صقل لغته كتابةً وتكلماً. وقدمه الى حلقة أصدقائه الواسعة التي كانت تضم بعض الأثرياء، مدّوا الحزب بالمال، وأمّنوا لهتلر عيشاً فضلاً عن تزويده

١٩- المرجع الأول، ص ٦٨٧.

٢٠- توفي إيكارت سنة ١٩٢٣ بسبب سكرة مفرطة.

بأعوان المستقبل، مثل رودولف هسّ Rudolf Hess وألفريد روزنبرگ Alfred Rosenberg. ولم يتحول هتلر عن إعجابيه بـ(إيكارت) قط. وآخر عبارة في (كفاحي) هي تعبير عن إمتنانه من هذا المعلم الضالّ، قال: "كان واحداً من أفضل الناس. وقف حياته على إيقاظ شعبنا بكتابات وأفكاره ثم بأعماله"^(٢١). ذلكم هو الخليط المتناقض العجيب الذي خلق النازية. أولئك الذين بدأوا دون أن يشعروا بصوغ حركة قُدر لها أن تكتسح أقوى البلاد في أوروبا خلال ثلاثة عشر عاماً وتقدم لألمانيا رايتها الثالث. فدركسلر) منحها تراثها و(إيكارت) الشاعر السكير ساهم بوضع بعض أسسها الروحية، والدجال الإقتصادي (فيدر) زودها بأيدولوجيتها المزعومة. وأمدها (روهم) المنحرف جنسياً بمساندة الجيش وتعصيد المحاربين القدماء. أما أدولف هتلر المتشرد السابق المجهول الإسم الذي لم يتعد الحادية والثلاثين فقد مسك زمام القيادة في بناء ما لم يكن يعدو جمعية نقاش صغيرة في غرفة خلفية. ليجعل منها في وقت قصير حزباً سياسياً واسعاً. ووجدت تلك الأفكار التي كانت تقعع في قحف رأسه منذ أيام العزلة والجوع في قيينا مجال إنطلاقها الآن. وإندفعت من أعماقه قوة كامنة لم تكن ظاهرة في شخصه من قبل ودفع لجنته الصغيرة المترددة الى تنظيم إجتماعات أوسع وكان يطبع بنفسه رقاع الدعوة على الآلة الكاتبة ويوزعها بيده. وتذكر مرة كيف انه بعد توزيعه ثمانين بطاقة "جلسنا ننتظر المدعوين المتوقع حضورهم. وإضطر عريف الحفل بعد مرور ساعة على الموعد الى أن يفتح الإجتماع". كنا سبعة، سبعتنا القديمة لا أكثر^(٢٢). ولم يخب أمله وزاد من عدد البطاقات بإستنساخها بالكربون وجمع بضعة ماركات دفعها أجراً لإعلان عن إجتماع في إحدى الصحف المحلية. وقال: "كان النجاح مذهلاً في الحقيقة. مائة وأحد عشر شخصاً حضروا". وكان من المقرر أن يلقي هتلر أولى خطبه العلنية بعد خطبة الإفتتاح التي سيلقيها أحد "أساتذة مونيخ" فأصبح (هارير) رئيس الحزب الإسمي على هذا التدبير. وعقب هتلر على المسألة بقوله: "هذا السيد كان مخلص النية في أمور أخرى. لا أدري كيف وثق بأني قادر على أمور معينة ليس الكلام من بينها. لقد تكلمت ثلاثين دقيقة وما كنت أحس به مجرد إحساس في أعماقي دون إدراك وتفهم. ثبت لي الآن بالدليل القاطع. إني قادر على الكلام!"^(٢٣)

وإدعى هتلر أن الحاضرين كُهرىوا بخطابه، والحماسة التي أظهروا في إكتتابهم بمبلغ ثلاثمائة مارك حلّت مشاكل الحزب المالية حلاً مؤقتاً. وفي مبدأ العام ١٩٢٠ أنيط به جهاز دعاية الحزب فأوقف عليه جلّ تفكيره منذ أن لاحظ أهميته في نشاط الحزبين الإشتراكي والمسيحي في قيينا وتفرغ حالاً الى تنظيم أعظم إجتماع حلم به هذا الحزب البائس الصغير. وقرر له الرابع والعشرين من شباط ١٩٢٠، وعُقد في قاعة الحفلات Festvaal المشهورة في هوفبراوهاوس Hofbrauhaus التي يزيد عدد مقاعدها على الألفين. وحكم عليه زملاؤه بالجنون. وإستقال (هارير) إحتجاجاً وإستخلفه (دركسلر)

٢١- المرجع نفسه، ص ٦٨٧.

٢٢- المرجع السالف، ص ٣٥٤.

٢٣- المرجع السالف، ص ٣٥٥.

الذي ظل شاكاً مترددًا^(٢٤).

ويوضح هتلر أنه كان ينهض شخصياً بالإستعدادات اللازمة. والواقع أن الحادث كان يحتل حيزاً كبيراً في تفكيره حتى أنه ختم الجزء الأول من (كفاحي) بوصفه، لأنه كما أوضح - كان الفرصة المتاحة للحزب "لخرق قيود المنتدى الصغير التي كانت تكيله. ولأول مرة نجده يمارس نفوذاً حقيقياً على الرأي العام الذي هو أعظم عامل سياسي في أيامنا هذه".

ولم يكن هتلر الخطيب الرئيس. لأن ذلك أسند لشخص يدعى "يوهانس دينغفيلدر - Johannes Dingfelder" وهو طبيب هوميويثي* homeopathic وكاتب دعيّ يزود الصحف بمقالات إقتصادية يوقعها بالإسم المستعار "جرمانوس أكريكولا Germanus Agricola ما لبث أن خبا ذكره وطواه النسيان. وقوبل خطابه بالصمت. ثم بدأ هتلر يخطب. ودونك إياه يصف المشهد:

"بدأت الهتافات تنثال كوابل من المطر. وكان ثمة صدمات عنيفة داخل القاعة قبضة من أخلص رفاق الحرب القدامى وغيرهم من الصّداميين كانوا يعتزكون مع مشيري الشغب من شيوعيين وإشتراكيين وأفلحوا بالتدريج في إعادة النظام وصرت قادراً على مواصلة خطابي، وبعد نصف ساعة بدأ هتاف الإستحسان يعلو على صراخ الإستهجان... وبعد حوالي أربع ساعات بدأت القاعة تخلو وعلمت أن المباديء التي شرعتها وهي حركة لم يعد تجاهلها ممكناً بعد الآن - أصبحت تتفاعل وتترسب في أفكار الشعب الألماني"^(٢٥). أعلن هتلر في خطابه هذا ولأول مرة النقاط الخمس والعشرين التي يتضمنها منهج "حزب العمال الألمان". وكان قد صاغها دركسلر وفيدر وهتلر بأقصى سرعة. وإنصب معظم الإستنكار على هتلر لفقرات قرأها من المنهج. ومع هذا فقد إعتبرها مقبولة من الجمهور برمتها وأضت المنهج الرسمي للحزب النازي بعد أن تم تبديل إسمه في الأول من نيسان ١٩٢٠ الى "الحزب القومي الإشتراكي للعمال الألمان". والحق يقال أن هتلر لم يصرح في ١٩٢٦ بأن المنهج غير قابل للتعديل إلا لأسباب تكتيكية ومما لا مراء فيه أن مواده مزيج دجليّ وجمع إعتباطي لإستمالة كل من العمال والطبقة دون الوسطى والفلاحين. وتؤسسي هؤلاء كلهم عندما تسلم الحزب مقاليد السلطة. وسخر بمواد المنهـاج عدد كبير من كتاب ألمانيا. حتى "الزعيم" نفسه فقد أدركه خجل منها فيما بعد عندما ذُكر ببعضها. ومع ذلك كله فقد تم تحقيق معظمها بقيام الرايخ الثالث. كما حقق أهم المباديء التي جاءت في (كفاحي) وكان من نتائجها أن إنصبت البلايا على رؤوس ملايين البشر داخل ألمانيا وخارجها.

كانت أولى مواد المنهج تدعو الى وحدة كل الألمان في "ألمانيا الكبرى". أليس هذا ما كان يصر عليه بالضبط (هتلر المستشار) عندما ضم النمسا بملايينها الستة من الألمان وأرض السودان بملايينها

٢٤- كان (هاربر) يعارض أيضاً في عنف هتلر بمعاداته للسامية. وكان يعتقد أنه ينفر جماهير الطبقة العاملة، وهنا يكمن السبب الحقيقي لإستقالته.

* طبيب يتبع أسلوباً في المعالجة بإعطاء المريض جرعات صغيرة من دواء معين لو أعطي لشخص سليم لأحدث فيه أعراضاً شبيهة بالمرض المعالج.

٢٥- المرجع السالف، الص ٣٦٩-٣٧٠.

الثلاثة؟ وألم يكن طلبه إعادة الدانزك Danzig الألمانية وغيرها من المناطق الألمانية في بولندا التي تسكنها غالبية من الألمان هو الذي أدى الى هجومه على بولندا ونشوب الحرب العالمية الثانية؟ ألا يمكننا الإضافة الى هذا قولنا أن من أنكد حظوظ هذه الدنيا أن ظل الناس يتجاهلون أو يستخفون بأهداف النازية التي سطرها كتابةً في فترة ما بين الحربين؟ لاشك أن المواد الأولية لمعاداة الشعوب السامية المنصوص عليها في ذلك المنهاج الذي دون في مشرب بيرة مونيخ مساء يوم ٢٤ شباط ١٩٢٤ كانت إنذاراً هائلاً مريعاً. فقد نصت على تحريم الوظائف وحق المواطنة على اليهود في ألمانيا ومنعهم من العمل في الصحافة وطرد كل الذين دخلوا الرايخ بعد الثاني من آب ١٩١٤.

هناك عدة مواد في منهاج الحزب تضليلية وضعت لإجتذاب مشاعر الطبقات الدنيا. في زمن كانوا يرزحون تحت أوضاع سيئة في الوقت الذي تحاشى الشعارات المتطرفة حتى الشعارات الاشتراكية منها. فالفقرة الحادية عشرة مثلاً تدعو الى إلغاء الدخول التي لاتأتي من العمل. والمادة الثانية عشرة تقضي بتأميم الإحتكارات والمادة الثالثة عشرة تدعو الى مساهمة الدولة في أرباح الصناعات الكبرى. والمادة الرابعة عشرة قضت بإلغاء بدلات إيجار الأرض وتحريم المضاربة بها بيعاً وشراءً. والمادة الثامنة عشرة فرضت عقوبة الموت على الخونة والمرايين والمتلاعبين بالأسعار والمادة السادسة عشرة دعت الى بناء طبقة متوسطة قوية وشدت على تأميم المخازن الكبرى وتأجيرها بإيجارات رخيصة للتجار الصغار، هذه المسائل أدرجت بإلحاح من (دركسلر) و(فيدر) اللذين كانا على ما يبدو يؤمنان بـ(إشتراكية) القومية الإشتراكية. وهي الآراء التي وجدها هتلر فيما بعد محرجة له عندما بدأ رجال الصناعة الكبار والإقطاعيون يصبون المال صباً في خزانة الحزب. وهو بالطبع لم يفعل شيئاً بخصوصها.

أخيراً هناك فقرتان في المنهاج أسرع بوضعهما في حيز التنفيذ حالاً عندما أصبح مستشاراً. وهما الفقرة الثانية التي دعت الى إلغاء معاهدتي فرساي وسان جيرمان. والفقرة الأخيرة الخامسة والعشرون التي شددت على خلق حزب مركزي للدولة وهي كالمادة الأولى والثانية تطالب بوحدة كل الألمان في رايخ واحد وإلغاء معاهدات السلم كلها وقد أدرجت بإصرار هتلر. وهي توضح أن الحزب كان حتى ذلك الزمن يمد أبصاره الى آفاق بعيدة رغم أنه غير معروف خارج مونيخ غير مبالٍ بخطر فقدانه المعونة الجماهيرية في معقله الخاص.

كانت الدعوة الى الإنفصال قوية جداً في بافاريا آنذاك. والبافاريون مختلفون دائماً مع الحكومة المركزية في برلين حول طلبهم مزيداً من اللامركزية ليتسنى لبافاريا حكم نفسها وهو ما كانت تفعل في ذلك الحين. فقرارات برلين وأوامرها لا تحترمها الحكومة الإقليمية كثيراً. وكان هتلر يطمح الى السلطة لا في بافاريا كلها بل في الرايخ فيما بعد. وأراد أن يقيم ويمارس نظاماً دكتاتورياً يتصور أنه ضروري ليكون به سلطة مركزية قوية. ويريد إلغاء الحكم شبه الذاتي للأقاليم الذي تبنته جمهورية فايمر كما كان في عهد إمبراطورية هوهنزلرن. حيث كان كل إقليم يتمتع ببرلمانه وحكومته. ومن أول أعماله بعد ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ أنه حقق فوراً هذه الفقرة الأخيرة من منهاج الحزب التي لم

يلحظها أحد ولم تؤخذ مأخذ الجد إلا عند القلة. لا أحد يستطيع الإدعاء إنه لم يُعطَ إنذاراً سابقاً عن طريق الكتابة، من البداية.

لم تكن الخطب الحماسية والمنهاج الخداع الموضوع إعتباطاً بالتتي تكفي لجلب الإهتمام والحصول على التأييد الشعبي، مع أنها ضرورية لحزب ما يزال وليداً. فلذلك إنصرف هتلر الى إيجاد المزيد من وسائل الدعم، والمزيد جداً. وبدأت تباشير عبقريته الغريبة تظهر للعيان وتلمس لمساً. ففكر أن ما تحتاجه الجماهير ليست أفكاراً وحسب - أفكار قليلة بسيطة يمكن دقها دقاً في رؤوسها - بل هي في حاجة الى رموز تكسيبها إخلاصها والى مهرجانات وبيارق ترفع من حماسها والى أعمال إرهابية عنيفة تزيد من أشياعه ومريديه في حالة نجاحها (أليس من طبع الألمان محبة الطاغية القوي؟) وتمنحهم شعوراً بسلطانهم على الضعفاء الخائرين.

وقد وجدنا كيف إستنكر في قيينا ما سماه "أساليب الإرهاب الروحي والجسدي الشنيع" الذي زعم إن الديمقراطيين الإشتراكيين كانوا يمارسونه ضد خصومهم السياسيين^(٢٦).

ها هو الآن يستخدم تلكم الأساليب لغرض مفيد داخل حزبه المعادي للإشتراكية. فبالأول كلف الجنود القدماء بإسكات مثييري الشغب في أثناء الإجتماعات. وفي صيف العام ١٩٢٠ وبعد أن أضاف الى عنوان الحزب لفظتي (القومية الإشتراكية) فأصبح "الحزب القومي الإشتراكي للعمال الألمان" وهو الإسم الذي عرف بعدئذ، نظم زمراً من "المحاربين القدماء" الغلاظ في فصائل صدامية سماها (حرس النظام Ordenrtuppe) وأناط قيادتها بأميل موريس Emil Maurice وهو مجرم من أرياب السوابق ومصالح ساعات. وفي ٥ تشرين الأول ١٩٢١، وبعد أن تنكر هؤلاء تحت عنوان "عصبة الجمناستيك والألعاب الرياضية" فترة قصيرة من الزمن للتخلص من تعقيب حكومة برلين، بادروا بتبديل إسمهم رسمياً الى "فرق العاصفة Sturmabteilung" الذي إشتق منه إسم (إس.أي) وهو إختصار لكلمة "جندي العاصفة". وإرتدى جنود العاصفة هؤلاء لباساً رسمياً بنياً وجُند معظمهم من مسرّحي أفراد (المحاربين الأحرار) ثم جعلوا تحت قيادة (يوهان أولريخ كلينتزيتز Johann Ulrich Klitzsch) وهو أحد مساعدي الكابتن (إيرهارد) السبيء الصيت، الذي كان قد أطلق سراحه من السجن مؤخراً لعلاقته بمقتل (إيرزبرغر). هؤلاء الأوباش ذوو البزات الموحدة لم يقنعوا بواجب حفظ النظام في إجتماعات النازيين وإنما راحوا يشيعون الفوضى في إجتماعات الأحزاب الأخرى. ومرة في ١٩٢١ قاد هتلر بنفسه هجوماً على إجتماع للفيدراليين البافاريين وكان يخطب فيه باللرشتيد Ballerstedt. فأعتدي على الخطيب بالضرب وحُكم على هتلر بالحبس ثلاثة أشهر لذلك السبب فقضاها كلها وكانت أولى تجاربه في السجن خرج منها أشبه بالشهيد وهو أكثر شعبية وعقب هتلر بقوله للشرطة متباهياً "لا بأس في هذا فقد نلنا ما أردناه ولم ندع باللرشتيد يخطب". كان هتلر قد خطب في مستمعيه قبل ذلك بشهر قائلاً: "إن حركة القوميين الإشتراكيين ستمنع في المستقبل بالقوة إن لزم الأمر - ستمنع كل الإجتماعات والخطب التي من شأنها حرف عقول أبناء وطننا"^(٢٧).

٢٦- أنظر ما سبق.

٢٧- كونراد هايدن "تاريخ القومية الإشتراكية" ص٣٦. معاهدة فرساي وقّعها الحلفاء مع ألمانيا في ٢٨ حزيران =

وفي صيف ١٩٢٣ خرج هتلر الفنان الشاب الخائب الذي أصبح الآن أستاذاً في فن الدعاية - بفكرة ملهمة لا يمكن وصفها إلا بأنها إحدى ومضات العبقرية. وجد أن ما يفتقر إليه الحزب هو علم وشعار ورمز. تعبيرٌ كلها عن أهداف الحركة وتأسر خيال الجماهير التي وجدها هتلر بحاجة إلى علم جذاب تسيّر خلفه وتحارب تحته. وبعد كثير من التأمل والتجارب في مختلف النماذج قرأ رأيه على علم أحمر في وسطه دائرة بيضاء رُسم داخلها سواستيكا سوداء. إن هذا الصليب المعقوف Hakenkreuz المستعار من الآثار القديمة الموعلة سيغدو رمزاً جباراً مخيفاً للحزب النازي ثم لألمانيا النازية. ولم يتحدث هتلر في (كفاحي) عن المصدر الذي إستقى منه فكرة إستخدامه علماً وشعاراً للحزب في كل حديثه الطويل عنه. إن الصليب المعقوف هو قديم قدم الإنسان في هذا الكوكب تقريباً. وقد وجد في خرائب (طرواده) وفي مصر والصين القديمتين. ووجدته أنا نفسي في مآثر الهنود والبوذيين. وظهر أيضاً في أزمان متأخرة كشعار رسمي لدى دول البلطيق كإستونيا وفنلندا حيث رآه "المحاربون الأحرار" أثناء حروب ١٩١٨-١٩١٩. ونقشت كتيبة إيرهارد على خوذ رجالها الفولاذية هذا الرمز عند دخولها برلين في إنقلاب كابّ العسكري ١٩٢٠ ولاشك أن هتلر شاهده في النمسا في شعارات أحد الأحزاب اللاسامية. أو ربما إنتبه إليه عند مجيء كتيبة إيرهارد إلى مونيخ. وهو يقول في هذا أن كثيراً من النماذج أقترحت عليه وعرضها أعضاء الحزب ومن بينها الصليب المعقوف، وإن مركّب أسنان من شتيرنبرك Sternberg تقدم بتصميم لعلمٍ "لم يكن شيئاً أبداً بل هو قريب جداً من تقويمه الخاص". أما بخصوص الألوان فقد إحتوى الأسود والأحمر والذهبي وهي ألوان علم جمهورية فايمر المكروهة. وأبى إتخاذ العلم الإمبراطوري القديم المؤلف من الأحمر والأبيض والأسود. على أنه كان معجباً بتلك الألوان ليس لأنها "أجمل تناسق لوني في الوجود" على حد قوله. بل لأنها ألوان ألمانيا التي تحارب لأجلها. لكن يجب أن يتم التآليف بينها في هيئة جديدة. فأضيف إليها الصليب المعقوف. وأشاد هتلر بإختراعه الفريد في (كفاحي) فهتف يقول: إنه لرمز حقاً. في الأحمر نرى فكرة الإشتراكية بحركتنا. وفي الأبيض تتجلى الفكرة القومية. وفي السواستيكا رسالة الكفاح لإنتصار الرجل الآري^(٢٨).

وإستحدثت عصاية كتف بالصليب المعقوف لبزة جنود العاصفة وأعضاء الحزب. وبعدها بسنتين صمم هتلر العلم النازي الذي يرفع في الإستعراضات الكبيرة ويزين منصات الإجتماعات العامة. وهو مأخوذ من المآثر الرومانية. ويتألف من السواستيكا الأسود المعدني في رأس العلم يحيط به أكليل فضي ويجثم فوقهما نسر وتحته الأحرف الأولى من إسم الحزب (N.S.D.A.P) في مستطيل معدني وتندلى منه خيوط تنتهي بأهداب وبعذبات يخرج منها شعار العلم وهو مربع فيه السواستيكا وقد نقشت عليه عبارة Deutschland Erwach! أي "يا ألمانيا إستيقظي!".

ربما لايفصح كل هذا عن شيء من الفن. إلا أنه دعاية من أعلى درجة. لقد أصبح للنازي الآن شعار

= ١٩١٩، ومعاهدة سان جرمان وقّعها الحلفاء مع النمسا في ١٠ أيلول ١٩١٩.
٢٨- (كفاحي) الص ٤٩٦-٤٩٧.

لايضا هي شعار أي حزب آخر. ويبدو أن الصليب المعقوف يتضمن قوة غامضة ذاتية. مشيراً الى عمل ذي إتجاه جديد تنهض بأعبائه الطبقة دون الوسطى التي كانت تنتابها الحيرة والتردد لأولى سنوات ما بعد الحرب المحافظة بالفوضى. لقد بدأ أعضاء هذه الطبقة يتقاطرون ويتجمعون تحت علمه هذا.

- ٣ -

مجيء الزعيم (الفوهرر)

في صيف عام ١٩٢١ لم يعتم هذا الشاب الكثير الشغب الصاعد النجم الذي أظهر موهبة خطابية عجيبة، ومقدرة في الدعاية والتنظيم - أن تسلم قيادة الحزب دون منازع. ويعمله هذا أذاق رفاقه العمال أول طعم من قسوته ومكره وتاكتيكة الماهر الذي قدر له أن يحقق به كثيراً من النجاح في الأزمات الكبرى.

ورحل الى برلين في أوائل الصيف للإتصال بالعناصر القومية في ألمانيا الشمالية وإلقاء خطاب في المنتدى القومي الذي كان مقرهم الفكري. أراد تقدير إحتتمالات مدّ حركته الى ما وراء الحدود البافارية وشمولها باقي ألمانيا. فلعله مستطيع عقد تحالف نافع لهذا الغرض وفيه هو بعيد عن مونيخ قرر أعضاء لجنة الحزب أن الوقت مناسبٌ لتحدي زعامته فقد أصبح أشد دكتاتورياً مما يطبقون وإقترحوا إقامة تحالف بينهم وبين ندوات تشابههم فكرباً في ألمانيا الجنوبية وبخاصة الحزب الإشتراكي الألماني الذي يبنيه (يوليسوس شترايخر) عدو هتلر اللدود وخصمه المنافس ومعدّب يهودي سيء الصيت في نورمبرك، وكان أعضاء اللجنة واثقين أن إندماج هذا الحزب مع زعمائه الطموحين سيقفل من نفوذ هتلر ويحدّ دكتاتوريته.

ولما أحسّ بما يتهدد مركزه أسرع بالعودة الى مونيخ لسحق تأمر هؤلاء (المجانين الأغبياء) كما وصفهم في (كفاحي) وقدم إستقالته من الحزب ولم يكن بالحزب طاقة على هذا كما أدرك أعضاء اللجنة بسرعة. فهتلر أقوى خطبائهم وأبرع منظميهم ودعاتهم. زد على ذلك أنه كان يجمع بمجهوده معظم مالية الحزب من الإكتتابات والإجتماعات العلنية التي يخطب فيها ومن مصادر أخرى بضمنها الجيش. فلو أنه إستقال فسوف يتحطم الحزب الوليد. رفضت اللجنة إستقالته وبذلك تقوى مركزه. وفرض على الزعماء الآخرين الإستسلام المطلق له. وطلب لنفسه سلطات دكتاتورية بوصفه زعيماً أوحده. وطالب بحلّ اللجنة ووضع حدّ لحبك الدسائس والمؤامرات مع أحزاب أخرى مثل حزب (شترايخر) وكان هذا فوق طاقة أعضاء اللجنة الآخرين. فقاموا بزعامه مؤسس الحزب (أنطون دركسلر) بتوجيه لائحة إتهام لدكتاتور الحزب المقبل ووزعوها بكراسة وكانت أقسى تهمة موجهة اليه من صفوف حزبه نفسه، من أولئك الذين هم أعرف الناس بخلقه وكيفية عمله بحكم قربهم منه: "إن الشهوة الى السيطرة، والطموح الشخصي دفعا هر أدولف هتلر الى العودة بعد ستة أسابيع من مكوثه في برلين لغرض لم يُكشف عنه بعد. إنه يرى الوقت مواتياً لشقّ وحدة صفوفنا وبذر الشقاق.

مدعماً بأناس ذوي نيات مشبوهة وراءه، وهو بهذا يدعم مصالح اليهود وأشياعهم. وبدأ يتضح شيئاً فشيئاً إستخدامه حزينا القومي الإشتراكي لوح قفز الى غاياته اللاأخلاقية والى القبض على زمام الزعامة ليدفع الحزب الى مسلك آخر في اللحظة السايكولوجية المناسبة. وهذا جلي من الإنذار الذي قدّمه الى أقطاب الحزب قبل أيام قليلة يطلب فيه (بين طلبات أخرى) منحه دكتاتورية مطلقة فردية على الحزب وأن تُنحى اللجنة وبضمنها صانع الأقفال (أنطون دركسلر) مؤسس الحزب وقائده...

كيف تراه يخوض معركته هذه؟ مثل يهودي تماماً يحور كل حقيقة ووصف هايدن هذه الواقعة بقوله أنها تشبه إنتصار "فرسان" الحزب. على "ذوي الرؤوس المستديرة"* منه، لكنه كان أكبر من هذا إذ ما جاء تموز ١٩٢١ حتى أنشأ هتلر "مبدأ الزعامة" الذي قدر له ان يكون دستوراً للحزب النازي أولاً ثم دستوراً للرايخ الثالث. لقد ظهر الزعيم (الفوهرر) على المسرح الألماني راح هذا الزعيم يعيد الآن تنظيم الحزب. فترك غرفة المغسل في الجناح الخلفي من حانة (شتيرنجربراو) التي وصفها (بعربة نقل الموتى أكثر منها دائرة) وانتقل الى مقرّ جديد في مشرب آخر في شارع كورنيليبوس Corneliusstrasse أكثر ضياءً ورحابة. وإبتاع آلة كاتبة من ماركة (أدلر) بالتنقيط وخزانة حديدية ودولاباً لحفظ الأوراق وأثاثاً ونصب تلفوناً واستخدم سكرتيراً بأجرة كاملة، كل ذلك حققه بالتدريج. وبدأ المال ينصب. كان قبل سنة تقريباً قد إبتاع (في كانون الأول ١٩٢٠) جريدة خاملة الذكر مثقلة بالديون اسمها (فولكشر بيوباختر Voelkischer Beobachter وهي جريدة إشاعات وحكايات معادية للساميين تصدر مرتين في الأسبوع. من اين جاءت الستون ألفاً من الماركات وهو ثمن شرائها؟ انه لسرّ نجاح هتلر في كتمانها. لكن من المعروف أن (إيكارت) و(روهم) أقنعا الميجر جنرال ريتز فون إيب Ritter Von Epp وهو قائد (روهم) وعضو في الحزب أن يزودهم بالمبلغ وأرجح الظن أنه صرفه من إعتمادات الجيش السريّة. وفي بداية ١٩٢٣ أصبحت الجريدة يومية ومنحت هتلر الأداة اللازمة لأي حزب سياسي ألماني. جريدة يومية يبشر فيها بانجيل الحزب. هذا ولاشك ان اصدار جريدة يومية سياسية يتطلب نفقات إضافية. وقد جاءت الآن من مصادر بدت غريبة مشبوهة لبعض الأعضاء الأكثر بروليتارية وتعصباً في الحزب. كانت السيدة هيلينه بخشتاين Helene Bechstein (زوج صاحب مصنع للبيبانو تري) أحد تلك المصادر. فقد اعجبت بهتلر في أول مقابلة ودعته ليحل ضيفاً في منزل بخشتاين في برلين كلما زارها. ونظمت حفلات لجمع مبالغ كبيرة بشكل إكتتابات للحركة. وجاء قسم من مالية الجريدة من السيدة كترود فون سايدليدز Gertrud Von Seidlitz وهي بلطيقية النشأة تملك اسهماً في مصانع ورق فنلندية شهيرة.

وفي آذار ١٩٢٣ تقدم المدعو "أرنست (بوتزي) هانفشتانگل Ernst (Putzi) Hanfstoengl" وهو خريج جامعة هارفرد، وأمّه أمريكية أسرته المثقفة الفنية تملك دار طباعة فنية في مونيخ، ومنح قرضاً للحزب بمبلغ ألف دولار موثقاً برهن على جريدة (فولكشر بيوباختر^(٣١)). وكان مبلغاً ضخماً خيالياً

* في الحرب الأهلية الإنجليزية التي نشبت بين الملك چارلس الأول وبين البرلمان إنتهت بإعدامه في ١٦٤٨ عرفت القوات الملكية بفرسان الملك، وقوات البرلمان بذوي الرؤوس المستديرة.

٣١- يقول هانفشتانگل في مذكراته الموسومة (الشاهد الذي لم يدل بأقواله) أنه تعرف بهتلر لأول مرة عن طريق معاون =

إذا حوّل إلى ماركات في أيام التضخم النقدي وبذلك قدم خدمة هائلة للحزب ولجريدته. إلا أن صداقة آل هانفشتانكل تعدت المساعدة المالية. لقد كانت واحدة من أولى الأسر المحترمة الغنية في مونيخ فتحت أبواب منزلها لهذا السياسي الشاب الجريء. وأصبح (بوتزي) صديقاً حميماً لهتلر الذي ما لبث أن عينه رئيساً لقسم الصحافة الخارجية في الحزب وهانفشتانكل هذا رجل غريب الأطوار سهل الإنقياد تعوض دعايته ونكسته التهامية بعض التعويض عن ضحولة فكره. وهو عازف هاوٍ على البيانو. كان بعد وصول صديقه الحميم إلى برلين يستأذن منّا ويتركنا معتذراً لمن هم معه يلزم إستجابته دعوة عاجلة من (الفوهرر). وقيل أن عزفه على البيانو العنيف الشديد وقيامه بدور المضحك كان يريح اعصاب هتلر بل ينعشه بعد يومٍ مضمّنٍ شاق. هذا الرجل الغريب الأطوار الميال إلى الدعاية، خريج هارفرد، اضطرّ فيما بعد - مثل بعض زملاء هتلر القدماء إلى الفرار من البلاد ناجياً بجلده (٣٢).

ومعظم من قدر لهم أن يصبحوا أقرب مرؤوسيه. كانوا الآن أعضاءً في الحزب. أو أنهم إنضمّوا إليه بعد قليل من هذا التاريخ. فقد انضوى (رودلف هيس) سنة ١٩٢٠. وهو ابن تاجر جملة ألماني سكن مصر. وقد قضى هيس سنواته الأولى الأربع عشرة في تلك البلاد ثم عاد إلى (الراين) لتلقي

= الملحق العسكري في السفارة الأمريكية ببرلين يومذاك. وهو الكابتن ترومان سميت. كانت السفارة قد أرسلته إلى مونيخ في تشرين الثاني ١٩٢٢ ليستطلع أمر داعية سياسي حامل الذكر يحوطه الغموض يدعى أدولف هتلر وان يجمع معلومات عن حزبه الجديد. وكان هذا الضابط ذا تتبعات في علم التحليل السياسي. وافلح في أثناء بقائه أسبوعاً (من ١٥-٢٢ تشرين الثاني) في مقابلة لودندورف وولي العهد الأمير روبرخت Rupprecht وأكثر من عشرة من الزعماء السياسيين في بافاريا. وأكد له معظمهم أن هتلر هو الشهاب الصاعد. وحرسته قوة سياسية سريعة النمو. ولم يضع سميت دقيقة واحدة بل أسرع لحضور مهرجان نازي علني خطب فيه هتلر فكتب في يومياته "لم أر منظرًا مثله في حياتي. قابلت هتلر ووعدني أن يتحدث معي يوم الإثنين ويشرح لي أهدافه" وقصد سميت مسكن هتلر "... غرفة صغيرة للنوم في الطابق الثاني في بيت متواضع. قليلة الأثاث" وقد جرى له حديث طويل مع الدكتور المقبل الذي لا يعرف عنه شيء خارج مونيخ "ديماكوكي عجيب!" بهذه العبارة بدأ سميت الشاب يومياته مساء ذلك اليوم "لم أصغ في حياتي إلى رجل مثل هذا الرجل المتعصب المنطقي". وكان تاريخ المدونة في ٢٢ تشرين الثاني. وقبل مغادرته مونيخ ذلك اليوم سعى لمقابلة هانفشتانكل. وأعلمه بما جرى بينه وبين هتلر ونصحه أن يتعرف به. وكان مقرراً أن يلقي هتلر خطاباً في إجتماع يتم مساء اليوم فدفع الكابتن لهانفشتانكل بطاقة الدعوة الصحفية. وسحر الشاب مثل كثيرين ببيان هتلر وتعرف به بعد الإجتماع. وما لبث أن إهتدى إلى النازية. وعلى اثر عودة سميت إلى برلين التي كانت تجهل هتلر إلا بالقليل، عمد إلى كتابة تقرير أسطوري عنه أرسل بالحقيبة الدبلوماسية إلى واشنطن في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٢. تقرير يدهش له المرء إن أخذ زمن كتابته بنظر الإعتبار. "إن انشط القوى السياسية في بافاريا الآن هي الحزب القومي الاشتراكي للعمال الألمان، انه حركة جماهيرية أكثر منه حزباً، ويمكن إعتبره صنواً للفاشية الإيطالية... لقد نال نفوذاً سياسياً كبيراً لايناسب قط قوته العددية الحقيقية... كان هتلر من اللحظة الأولى القوة المهيمنة على الحركة ولاشك ان شخصيته كانت واحدة من أهم عوامل نجاحها... ان مقدرته في التأثير على الجماهير لا تبارى. وفي مقابلة خاصة لي معه وجدته محدثاً بارعاً يمازج التعصب المخلص فيخلف إنطباعاً جد عميق في السامع المحايد. كان كولونيل سميت الذي ظل ملحقاً عسكرياً في برلين أثناء حكم النازي الأول، قد تلطف فوضع تحت تصرف المؤلف مذكراته عن رحلته إلى مونيخ. وكانت قيمة جداً في اعداد هذا الفصل.

٣٢- قضى هانفشتانكل جانباً من سني الحرب العالمية الثانية في واشنطن. ظاهرياً بوصفه أجنبياً من الاعداء معتقلاً. لكنه كان في الحقيقة (مستشاراً) للحكومة الأمريكية في أحوال ألمانيا النازية هذا الدور الأخير من حياته الذي بدا هزلياً للغاية لكل من عرفه وعرف ألمانيا النازية من الأمريكان - لا بد وأنه استمتع به جداً.

العلم وفي زمن الحرب خدم مدة في (لواء ليست) وهو وحدة هتلر لكنهما لم يلتقيا فيه وجرح مرتين ثم أصبح طياراً. وبعد الحرب سجل طالباً في القسم الإقتصادي من جامعة مونيخ. ويظهر أنه قضى جل وقته يوزع نشرات لاسامية. ووُجد في زخم النار أثناء معركة ثل النظام السوفيياتي في مونيخ في ١ أيار ١٩١٩ واصيب بجرح في ساقه. وبعد سنة قاده قدماء في إحدى الأمسيات لسماع إحدى خطب هتلر فسحره بيانه فانضم الى الحزب وسرعان ما أصبح صديقاً مقرباً وتابعاً أميناً وسكرتيراً خاصاً للزعيم واليه يعزى الفضل في تعريف هتلر بأراء الجنرال كارل هاوسهوفر Karl Haushofer السياسية. وكان هذا أستاذاً لعلم السياسة الطبيعية Geopolitical في الجامعة.



روزنبرگ

جلب هيس إنتباه هتلر بأطروحة نالت جائزة الجامعة وعنوانها "مما يتكون المرء الذي سيقود ألمانيا الى مجدها السالف". وقد جاء فيها:

"عندما تزول السلطة كلها، لا يستطيع إعادتها إلا رجل من عامة الشعب... كلما كانت جذور الدكتاتور مغروسة في تربة اوسع الجماهير كلما سهل عليه إدراك

كيفية معاملتهم سايكولوجياً. وكلما قلت ثقة العمال به وتصديقهم له كلما زاد كسبه أشياءً ومعاضدين من الناس الأكثر نشاطاً وحيوية. وهو نفسه لا يربطه بالجماهير شيء لأنه شخصية قائمة بذاتها كأى رجل من العظماء... واذا حكمته الضرورة لا يتعفف عن سفك الدماء ولا يحجم دونها. مشاكل عظيمة لا يقررها ويفلح في تسويتها إلا الدم والحديد... وليكن مستعداً لوطء أقرب المقربين اليه عندما يمضي لبلوغ هدفه... يجب على هذا مانح القانون ومصدره ان يبدأ بعنف رهيب... وإن ادركته الحاجة فعليه أن يظاً الجماهير بحذاء المدفعي الثقيل..." (٣٣)

فلا عجب أن ضم هتلر هذا الشاب وقربه منه فتلك التي رسمها صورة ربما لاتتطابق صورة الزعيم يومذاك. إلا انها كانت الصورة التي تفرغ الى تحقيقها من شخصه. ولقد بقي هيس رغم جدّه ووقاره محدود الذكاء يتقبل دائماً أجوف الآراء ويتمتع بقابلية تبنّيها والتشيع لها بتعصب شديد وظلّ تقريباً الى النهاية واحداً من أخلص وأوثق أتباع هتلر وفرداً من القلة التي لم تصبهم شهوة الطموح الشخصي، وكان (ألفريد روزنبرگ Alfred Rosenberg) ذا ذكاء دون الوسط هو الآخر وإن كثيراً ما وصف بكونه "الزعيم الفكري" للحزب النازي، وهو عملاً "فيلسوفه" ويمكن إعتباره روسياً، فهو كثير من المثقفين الروس إنحدر من أسرة ألمانية بلطيقية. أبوه صانع أحذية وقد ولد له في ١٢ كانون

٣٣- هايدن: "الزعيم" ص ٩٨-٩٩.

الثاني ١٨٩٣ في مدينة ريثال (آلان تالين) بأستونيا التي كانت جزءاً من روسيا القيصرية منذ ١٧١٢ واختار ان يتلقى علومه في روسيا لا في ألمانيا فنال دبلوم الهندسة المعمارية من جامعة موسكو في ١٩١٧ وعاش في هذه المدينة أيام الثورة البلشفية. وربما داعبته فكرة صيرورته ثورياً بلشفيّاً على زعم بعض خصومه في الحزب النازي. وعاد الى (ريثال) في ١٩١٨ وتطوع في الجيش الألماني عندما بدت طلائعه في مشارف المدينة، لكنه رُفض لكونه روسي الجنسية. وأخيراً نرح الى مونيخ في أواخر العام ١٩١٨ ونشط هناك أولاً في حلقات المهاجرين من الروس البيض.

وهنا التقى به (دتيش إيكارت) وعن طريقه تعرّف بهتلر وانخرط في صفوف الحزب في أواخر العام ١٩١٩ ولم يكن ثم مندوحة من ان يصبح مصدر إهتمام من ذلك الذي فشل حتى في دخول مدرسة الهندسة المعمارية لانه حائز على دبلومه. كذلك اعجب هتلر (بثقافته) وأحب في الفتى البلطقي بغضه اليهود والبلشفيك. وقبيل موت (إيكارت) في آخرا عام ١٩٢٣ أسند اليه رئاسة تحرير جريدة الحزب وظلّ سنيماً عديدةً يدعم ويسند هذا الرجل المشوش العقل تماماً، هذا الفيلسوف الضحل الملتاث، ويرى فيه المعلم الفكري للحركة النازية، وواحداً من المراجع الرئيسية في السياسة الخارجية. وك(رودلف هيس) نرح (هرمان غورنغ) الى مونيخ بعيد الحرب بقصد دراسة الإقتصاد في جامعتها كما يبدو، ووقع هو الآخر تحت سحر شخصية هتلر. كان (غورنغ) أحد أبطال الشعب الألمانيّ الأسطوريين. فهو آخر قائد لسرب مقاتلات (ريشتوفن Richthofen) الشهير. وحامل وسام "الإستحقاق Pour le Merite وهو أرفع اوسمة الحرب في ألمانيا. وجد أكبر صعوبة في العودة الى الحياة المدنية الهادئة الخالية من الضجة وخدم طياراً في طائرات نقل بالداغمرك مدة من الزمن ثم تحول الى (السويد). وفي ذات يوم طار بالكونت ايريك فون روزن Eric Von Rosen إلى مزرعته التي تبعد مسافة عن (ستوكهلم) وفي أثناء نزوله ضيفاً على الأسرة علق بحب أخت الكونتس روزن. وهي كارين فون كانتزوف Carin Von Kontzow ولقبها العائلي الاصيلي البارونة (فوك Fock) كانت إحدى جميلات السويد المعدودات. وظهرت عوائق أمام هذا الحب (كارين) مصابة بداء الصرع، متزوجة وأم لصبي في الثامنة. على انها تمكنت من إلغاء عقد زواجها والإقتران بالطيار البطل الشاب. وكانت غنية فرحلت مع زوجها الجديد الى مونيخ حيث راحا يعيشان عيشةً مترفةً وانشغل هو بدراساته في الجامعة.

ولم يطل به الوقت حتى إلتقى بهتلر وانضم في ١٩٢١ الى الحزب وساهم بسخاء في تمويله ومد هتلر بالمال لنفقاته الخاصة ووقف نشاطه المثابر على تنظيم فرق العاصفة. وبعد سنة نصب قائداً لفصائل ال(إس.أي). عام ١٩٢٢.

هنالك رهط كبير أقل شهرة ومعظمهم أناس لا ميزة بارزة فيهم انتظموا حلقة حول دكتاتور الحزب. فهنالكَ مثلاً (ماكس أمآن Aamann) عريف هتلر المباشر في (لواء ليست) وهو شخص فظ غليظ إلا انه منظم قدير. عين مديراً لشؤون الحزب المالية ولجريدته. وسرعان ما شاع الاستقرار والثبات في ماليتهما. واختار هتلر (أولريخ كراف Ulrich Graf) حارساً شخصياً. وهو مصارع هاوٍ ومساعد قصاب



فردريك الرابع - ملك الدانمرك

محب للعراك. واختص بمصور واحد ظلّ عدة سنين يسمح له فقط بتصويره وهو هاينريخ هوفمان الأعرج Heinrich Hoffmann الذي كان إخلاصه له شبيهاً بإخلاص الكلاب وقد انتفع من هذا الامتياز فصار ميلونييراً. هنالك (صعلوك) آخر اسمه كريستيان ويبر Cristian Weber وهو تاجر خيول ومحتال سابق وقوآد في إحدى مواخير مونيخ وشريب بيرة لايشق له غبار كان من مقربي هتلر في تلك الأيام. و(هرمان إيسر Hermann Esser) وهو ذو مقدرة خطابية تضاهي مقدرة زعيمه كانت مقالاته اللاسلامية في جريدة الحزب من الافتتاحيات الهامة. لم يتورع عن الفخر بأنه كان يعيش على حساب بعض عشيقاته. وهو ميّتزّ سيء الصيت اختص بتهديد ضحاياه بالكشف عن أسرارهم ولم يسلم منه أحد، حتى رفاقه الحزبيين الذين يخاصمونهم. وكرهه القدامى الأقل تفسخاً وطالبوا

بطرده فاجاب هتلر علناً "انا اعرف أن (إيسر) نذل ساقط لكني سأبقي عليه ما دام مفيداً لي"^(٣٤) وهذا هو موقفه المعتاد ازاء كل الأعوان المقربين. لايهمه مبلغ سواد ماضيهم أو حاضهم. فالقتلة والقوادون والمنحرفون جنسياً والأوباش ومدمنو المخدرات، هم سواسية لا غبار عليهم إن خدموا غاياته وحققوا مآربه.

وعلى سبيل المثال وقف الى النهاية يدعم يوليوس شترايخر، هذا الساديّ الحقيير الشديد الوضاعة الذي بدأ معلم إبتدائية. وكان من أسوأ الناس الذين إلتفوا حول هتلر سمعة وبقي كذلك من العام ١٩٢٢ حتى ١٩٣٣ عندما أفل نجمه. انه لفاسق يشار اليه بالبنان. يفخر بابتزازه المال من أزواج النساء اللاتي يعاشرنهن. بنى شهرته وثرأه من تعصبه اللاساميّ الأعمى وجريدته الأسبوعية (دير شتورمر) السيئة النقيبة كانت حافلة بالقصص الشنعاء عن جرائم اليهود الجنسيّة وقتلهم الناس لأغراض دينية. كان فحشها وبذاءتها يصيبان المرء بالقبيء والغثيان حتى لدى كثير من النازيين واشتهر بمزاولته تجارة الادبيات الخلاعية الفاجرة وعرف بلقب (ملك فرانكونيا) غير المتوّج وكان معقله نورمبرگ حيث كلمته هي القانون والويل لمن يتعرض له أو يقف بوجهه فلن ينجو من السجن والتعذيب. ما رأته مرة إلا والكرباج في يده أو في حزامه، يفخر ضاحكاً بما لايمكن احصاؤه من عمليات الجلد التي قام بتنفيذها شخصياً. لم أره مرة واحدة متجرداً من سلاحه هذا إلا عندما وجدته في قفص المتهمين في محكمة نورمبرگ لمجرمي الحرب.

٣٤- هايدن "تاريخ القومية الاشتراكية" ص ٥٢.

أولئك هم الرجال الذين جمعهم هتلر حوله في أولى سنيّ إندفاعه الى هدفه. يصبح دكتاتوراً على أمةٍ منحت العالم رجالاً كلوثر Luther وكانت Kant وگوته Gothe وشلر Schiller وماركس Marx وباخ Bach ويتهوفن Beethoven وبراهم Brahms.

ترك هتلر الجيش في ١ نيسان ١٩٢٠ وهو اليوم الذي جرى فيه تبديل اسم حزب العمال الألمان بالحزب القومي الإشتراكي للعمال الألمان ومنه اشتق مختصر (نازي) وكرس كل وقته للحزب وأبى أن يخصص له أي راتب.

ولا يتمالك المرء نفسه من السؤال إذن كيف كان يعيش وما هو مصدر رزقه؟ وقد سأل ذلك أعضاء الحزب من العمال. ووضع بشكل صريح في لائحة الاتهام التي نظمها أعضاء لجنة الحزب الثائرين في تموز ١٩٢١، هكذا: "إن سأله أي عضو كيف يعيش وماذا كانت صنعته في الماضي، انتابه الغضب واثارت ثائره دائماً. حتى في هذه اللحظة ليس هناك أي جواب عن هذه التساؤلات، ولا يمكن والحالة هذه ان يكون نقى الضمير ولاسيما اتصالاته الدائمة الملفتة للنظر بالسيدات. ووصفه لنفسه أمامهن بأنه "ملك مونيخ" هذه الصلات الخارجة عن الحد المتعارف تكلف مالا كثيراً".

اجاب هتلر على السؤال في جلسة محاكمة دعوى القذف التي رفعها على مؤلفي الكراسية "عندما سأله القاضي عن موارد عيشه بالضبط فأجاب: "عندما أخطب في إجتماع للحزب القومي الإشتراكي لا أتقاضى أجره لنفسى. إلا اني اقبل اجوراً عندما أخطب لمنظمات أخرى... اما وجبة الغداء فأنا اتناولها مع مختلف رفاق الحزب كل بدوره. وأخيراً فأنا أتلقى مساعدات قليلة من بعض رفاق الحزب^(٣٥).

وربما كان هذا أقرب الامور الى الحقيقة فأصدقاء اثريا مثل ديتريش إيكارت وگورنك وهانفشتانكل يقترضونه مالا بلاشك ليدفع منه ايجار مسكنه وثمان ملابسه وطعامه ولاشك في أن حاجاته كان متواضعة قليلة فقد ظل حتى ١٩٢٩ يسكن شقة تتألف من غرفتين في أحد أحياء الطبقة دون الوسطى بشارع ثيرش Thierschstrasse قرب نهر إيسار Isar. وكان يرتدي معطفاً مطرياً عسكرياً في الشتاء عُرّف به لكل شخص في ألمانيا من عدة صور فوتوغرافية. وكان يبدو في كثير من الأحيان بسروال قصير في موسم القيظ وهو زي معظم البافاريين المعروف باسم ليدرهنوس Lederhosen. وفي عام ١٩٢٣ وقع (إيكارت) و(إيسر) على حانة بلاترهوف Platterhof قرب (برختسگادن) فكانت مصيفاً لهتلر وأعوانه. واحب هذه البقعة الجبلية الجميلة وفيها بنى الفيلاً الفخمة التي عرفت باسم بركهوف Berghof لتكون مسكناً له يقضي فيها جل أيامه حتى نشوب الحرب.

على كل حال فلم يكن عنده وقت يخصصه للراحة والاستجمام في تلك الأيام المشحونة بالقلق ما بين العامين ١٩٢١ و١٩٢٣. فالحزب يجب ان يكمل بناءً وقبضته يجب ان تبقى محكمة عليه بعيداً عن متناول خصومه الجسورين المندفعين مثله. وهو لم يكن إلا واحداً من عدة احزاب يمينية في (بافاريا) تعمل جاهدة لاثارة إهتمام الرأي العام بها وجره الى معونتها. دعك من الاحزاب الأخرى

٣٥- هايدن "هتلر..." الص ٩٠-٩١.

العديدة في ألمانيا.

كانت الحوادث تتوالى بشكل مذهل والتحويلات سريعة مستمرة تتطلب من السياسي ان يرقبها ويحللها ليستفيد منها ففي نيسان ١٩٢١ قدم الحلفاء لألمانيا قائمة التعويضات المتضمنة مبلغاً لا يصدق: ١٣٢ بليون مارك ذهبي أي ما يعادل ٣٣ بليون دولار وراح الألمان يصرخون محتجين بأنهم لا يستطيعون الدفع وبدأ المارك (وقيمته الإسمية ربع دولار) يهبط بإطراد. وأصبح الدولار الواحد يسوى (٧٥) ماركاً في صيف عام ١٩٢١. ثم أصبحت قيمته بعد عام واحد (٤٠٠) مارك للدولار الواحد. وجرى إغتيال (ارزبرغر) في آب ١٩٢١ وفي حزيران عام ١٩٢٢ جرت محاولة إغتيال (فيليب شايدمان) الاشتراكي الذي أعلن قيام النظام الجمهوري. وفي الرابع والعشرين من الشهر نفسه أردى وزير الخارجية (راثاو) في الشارع برصاصة غادر. وفي قضايا الإغتيال الثلاث هذه كان القتلة من أقصى اليمين وردت الحكومة الوطنية المتضعضة في برلين على هذا التحدي أخيراً بسنّ قانون خاص عُرف بـ"قانون حماية الجمهورية" يتضمن عقوبات قاسية على الارهاب السياسيّ العصاباتي. لقد وجدت الحكومة البافارية برئاسة المعتدل الكونت (لرخنفلد (Lerchenfeld) الذي خلف اليساري المتطرف (كاهر) سنة ١٩٢١، من الصعب عليها ممشاة الحكم الوطني في برلين. وعند محاولتها تطبيق القانون الجديد ضد الارهاب نظم اليمينيون البافاريون (وقد أصبح هتلر يُعدّ من زعمائهم الشباب المعترف بهم) مؤامرة للإطاحة بحكم (لرخنفلد) والزحف على برلين لاسقاط الجمهورية.

كانت جمهورية (فايمر) الديمقراطية الوليدة غارقة في المتاعب الى أذنيها. ووجودها مهدد بلا انقطاع. لا بطغيان اليمين المتطرف وحده بل باليسار المتطرف ايضاً.